إسهامات منطقة حدياب كدولة عازلة في العلاقات السائدة بين الإمبراطوريتين الفرثية - الرومانية

د. شهناز حجتي
أستاذة مساعدة، قسم الدراسات الإيرانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ميبد، إيران
hojati@meybod.ac.ir

An intermediary government with maintaining the policy of balance; the role and position of Adiabene in the relations between Parthian and Roman Iran

Dr. Shahnaz Hojati
Assistant Professor , Department of Iranian Studies , Faculty of Humanities , Meybod University , Iran

الملخص:-

كانت تمثل دولة حدياب أو أديابن في شمالي بلاد الرافدين، منطقة عبور في مفترق طرق هامة بين الغرب والشرق والشمال والجنوب، فكانت تحظى بأهمية إستراتيجية بالغة في العهود القديمة. فإن هذه المنطقة، علاوة على أهميتها الجيوسياسية الفريدة، كانت تتمتع بالموارد الطبيعية الهائلة، لدرجة أنها صارت محط اهتمام الدول المجاورة في حوالي منطقة دجلة العليا، بما في ذلك أرمينيا، والإمبراطورية الفرثية الفارسية، والإمبراطورية الرومانية. بذلك، نشهد أن الإمبراطورية الرومانية مثلا كانت تحرص على الهيمنة على هذه المنطقة المهمة وبسط نفوذها عليه؛ ذلك لأنها كانت بمثابة بوابة إلى بين النهرين وأرمينيا؛ وفي الوقت نفسه، أن الإمبراطورية الفرثية كانت تصب اهتمامها على المحافظة على هذه المنطقة الإستراتيجية ودعمها، الأمر الذي أدى إلى أن تتحول بلاد الرافدين الشمالية وخاصة منطقة حدياب، إلى محل صراع بين الفرس والرومانيين. زيادة على ذلك، فإن منطقة حدياب بوصفها دولة عازلة بين هاتين الإمبراطوريين المتنازعتين، أسهمت إسهاما فعالا في العلاقات السياسية السائدة بينهما. فإن هذه المنطقة الإستراتيجية، رغم أنها خضعت لحكم الدولة الفرثية من منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، إلا أنها كانت تواظب على المحافظة على كيانها السياسي حتى نهاية هذه الدولة الفارسية في سنة ٢٢٤ للميلاد، وذلك من خلال اللجوء إلى السياسات الحيادية بين الدولتين أحيانا، وأحيانا أخرى السياسيات الانحيازية. تأسيسا على ذلك، فإن هذه الورقة البحثية المتواضعة تروم، متبعة المنهج الوصفي ـ التحليلي، وبالاعتماد على المصادر التاريخية، أن تسلط الضوء على إسهامات منطقة حدياب أو أديابن في العلاقات السائدة بين الفرس والرومان.

الكلمات المفتاحية: بلاد بين النهرين أو بلاد الرافدين، حدياب أو أديابن، الإمبراطورية الرومانية، الإمبراطورية الفرثية، العلاقات الخارجية.

Abstract:-

Adiabene was the title of a government in the north of the Mesopotamia, which was located as a transit area at the intersection of important communication lines from west to east and south to north, and was of great strategic importance. In addition to its geographical location, Adiabne's natural resources were undoubtedly vital to its neighbors around the Upper Tigris region, including Armenia, the Parthian kingdoms of Iran, and Rome. Therefore, it is clear that this region was coveted by the surrounding governments due to its geopolitical importance and its natural resources. The subjection of Adiabene was very important for the Romans because this region was the gateway to Mesopotamia and Armenia for the expansionist Romans. The Parthians also tried to preserve the citizenship of this region in opposition to the Romans. This situation had caused the Northern Mesopotamia, especially the Adiabene region, to become an arena for conflict between the Parthians and the Romans. In addition, Adiabene, as an intermediary state between Iran and Rome, played a very important and effective role in the relations between the two mentioned powers. Although Adiabene came under the citizenship of the Parthian state in the second half of the second century BC, but until the end of the Parthian rule in 224 AD, it tried to maintain its political existence by adopting neutral policies, sometimes leaning towards the east (Parthians) and sometimes leaning towards the west (Romans). This research tries to investigate the role and place of Adiabane in the relations between Romans and Parthians by using descriptive-analytical method using historical sources and sources.

Key words: Mesopotamia, Adiabene, Roman Empire, Parthians, foreign relations.

١ـ المقدمة:

تطلق حدياب أو أديابن على دولة عازلة في شمالي بين النهرين، كانت لها إسهامات بارزة وفعالة في العلاقات الفارسية والرومانية في فترة حكم الإمبراطورية الفرثية الفارسية. تكمن أهمية هذه المنطقة الإستراتيجية في مكانتها التاريخية، والجغرافية ـ السياسية، والاقتصادية. من المنظور التاريخي، تعود أهمية هذه المنطقة العريقة إلى أنها كانت خاضعة لنفوذ الدولة الآشورية القديمة، وكانت تحتضن بعض المدن المهمة، بما في ذلك نينوى، وأربيل، وغوغميلا. يمكن أن نقول إن هذه المنطقة كانت لها أهمية فائقة بسبب امتلاك الهياكل الإدراية المهمة والتجارب التاريخية. كانت تقع هذه المنطقة في شمالي بلاد بين النهرين أو بلاد الرافدين، وكانت تتاخم الإمبراطورية الفارسية شرقا، وأرمينيا شمالا. كانت تحتظي حدياب بموقع جغرافي مميز، حيث كانت تربط جنوب بين النهرين بالمناطق الشمالية وأرمينيا، وشرقي إيران بغربي سوريا بشبكة من الطرق والمسالك الرئيسة والفرعية. انطلاقا من ذلك، كانت تتمتع هذه المنطقة بموقع جيوسياسي فريد في تلك الحقبة الزمنية. وأما من المنظور الاقتصادي، فشهدت هذه المنطقة ازدهارا وتقدما ملحوظا في التجارة الإقليمية والعابرة للأقاليم، وتبادل السلع من الشرق إلى الغرب ومن جنوب بلاد بين النهرين إلى الشمال أو أرمينيا، والزراعة، وذلك بفضل موقعها الفريد على نهر دجلة والزاب الصغير والسهول الخصبة. فإن أديابن أو حدياب، علاوة على أهميتها التاريخية والجيوسياسية والاقتصادية الباهرة، كانت منقطة عازلة بين الدولتين الرومانية والفارسية طيلة الفترة الممتدة ما بين ٢٤٧ ـ ٢٢٤ قبل الميلاد، الأمر الذي كان يدفع هاتين الدولتين المتنازعتين إلى السيطرة عليها وجعلها تابعة لمصالحها وسياساتها. بما أن منطقة حدياب كانت بوابة إلى أرمينيا، وأن هذه الأخيرة كانت لها أهمية بالغة عند الفرس والروم، فكانت تطمح الدولتان الفارسية والرومانية إلى الهيمنة على هذه المنطقة الإستراتيجية باعتبارها ممر الدخول إلى أرمينيا. في تعبير آخر، يستفاد أن حدياب كان لها دور جوهري في العلاقات السائدة بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية.

تأسيساً على ذلك، فتسعى هذه الدراسة المتواضعة إلى الإجابة عن سؤال محوري، هو: ما كان دور منطقة حدياب في العلاقات الفارسية والرومانية خلال فترة حكم الإمبراطورية الفرثية التي استغرقت ٤٧٠ سنة؟ للإجابة على إشكالية هذه الدراسة، قمنا بصياغة فرضية

رئيسة تنص على أن كلا الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية كانت تطمح إلى الهيمنة على منطقة حدياب وإخضاعها لنفوذها، وذلك بفضل أهميتها التاريخية العرقية، والجيوسياسية، والاقتصادية الباهرة. زيادة على ذلك، فإن السيطرة على حدياب كانت تعبد الطريق لكل من الإمبراطوريتين حتى تبسط قبضتها على أرمينيا، وتشرف على نشاطات خصمها السياسي ومنابعة تحركاته في الحدود المشتركة بين البلدين في بلاد بين النهرين.

من اللافت أن هذه الدراسة تتبع المنهج الوصفي ـ التحليلي، وتعتمد على البيانات الموثوق بها والمصادر التاريخية الرئيسة المنتمية إلى المؤرخين الكبار، بينهم تاسيتس، ويوسيفوس فلافيوس، وبلوتارك، وسترابو، وكاسيوس ديو.

٢ـ موقع حدياب الجغرافي

في البداية، كانت تقع حدياب في وسط الدولة الآشورية وشمالي بلاد بين النهرين. وفقا لروايات المؤرخين القدامى، فكانت تحيط بها جبال جورديان إلى شمالي بحيرة فان شمالا، والسفوح الغربية لجبال زاغروس شرقا، ونهر دجلة غربا، ونهر زاب الصغير جنوبا (Marciak, 4014a: 112).

صورة الرقم ١

مملكة حدياب من بداية القرن الأول قبل الميلاد إلى أوائل القرن الثالث بعد الميلاد

٣ـ أسماء ملوك حدياب

وفقا لقاعدة بيانات المسكوكات والمصادر التاريخية، عثرنا على أسماء ملوك حدياب العشرة ومدة حكمهم بالترتيب التاريخي على النحو التالي:

١- أبديسار(Abdissar))الذي تربع على عرش الحكم في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد.

٢- ملك مجهول كان حليف ديكرانوس ملك أرمينيا في سنة ٦٩ قبل الميلاد، وشارك في وقعة تيكرانوكرتا(Tigranocerta)) ضد قوات الروم.

٣- أرتكسركسيس(Artaxares) الذي اعتلى العرش في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد.

٤- أيزاتس الأول (Izates I)الذي تولى الحكم في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد.

٥- مونوباز الأول بازيوس(Monobazos I Bazaios)، الذي تولى الحكم من سنة ٥ قبل الميلاد إلى سنة ٣٠ للميلاد.

٦- إيزاتس الثاني(Izates II)، الذي كانت مدة حكمه من سنة ٣٠ إلى ٥٥ للميلاد.

٧- مونوباز الثاني(Monobazos II)، الذي طالت مدة حكمه من سنة ٥٥ إلى ٧٠ للميلاد.

٨- ميبارسابيس(Mebarsapes)، الذي كان ملك مقاطعة حدياب، عندما زحف تراجان إلى النواحي الشرقية في سنة ١١٤ أو ١١٥ للميلاد.

٩- ملك أديابن المجهول، الذي كان من حلفاء غايوس بيشينيوس نيجر(Pese niu niger)، وتولى العرش في الفترة الممتدة ما بين ١٩٢ ـ ١٩٤ للميلاد.

١٠- أتالوس(Attalos)، الذي وصل إلى سدة الحكم في النصف الأول من القرن الثالث للميلاد (Marciak, 2016, 80).

وفقاً لقول يوسيفوس فلافيوس (Josephus Flavius) وحوليات أربيلا (The Chronicle of Arbela)، فكان نرسي وشارات من ملوك مملكة حدياب، غير أنه يستعصي علينا أن نحدد تاريخا دقيقا لمدة حكمهما (فراي، ١٣٨٨: ٤٤٧).

كان ملوك أديابن على الدين الآشوري، إلا أنهم اعتنقوا اليهودية في القرن الأول الميلادي. وفقا على المصادر والتقارير التاريخية، كان اعتناق الدين اليهودي، مقتصرا على العائلة الملكية، فما لاقى قبول الطبقة الدنيا والطبقة العليا في تلك المنطقة. لقد كشفت التنقيبات الأثرية في أهم المدن التابعة لأديابن، بما في ذلك غوغميلا ونينوى، عن وجود تنوع ثقافي هائل في تلك المنطقة العريقة.

يعتقد مارسياك أن ثقافة أديابن بسبب تركيبتها السكانية المتنوعة، كانت تشمل العناصر العرقية المتعددة، بما في ذلك، السامية والإغريقية والفارسية، حيث لا نعدو الصواب إذا قلنا إن حدياب أو أديابن كانت مملكة في ملتقى الثقافات الشرقية والغربية (Marciak, 2014b, 217)؛ في حين أن بيغوليفسكيا، المستشرقة الروسية، تعتقد أن ثقافة أهالي المناطق الواقعة في بلاد بين النهرين واقتصادهم، لم تتعرض لتغيرات جذرية في مسار الصعود والهبوط التاريخي، مما أدى إلى أن تبقى ثقافتها سليمة (بيگولوسكايا، ١٣٨٧: ٢٤).

٤- مقاطعة أديابن في مسارها التاريخي

تم تأسيس دولة تدعى ميتاني في شمالي بلاد بين النهرين في القرن السادس عشر قبل الميلاد. فكان أهالي هذه المنطقة من الساميين والهوريين أو الحوريين. يرى دياكونوف، المؤرخ الروسي الشهير، أن الهوريين أو الحوريين كانوا من الأقوام الآرية، وكان بعض زعمائهم يحملون أسماء آرية (دياكونف، ١٣٤٥: ١٦٣ - ١٦٤). فانهارت المملكة الحورية - الميتانية، وانخرطت تحت راية المملكة الآشورية، عقب زحف الحيثيين من جانب، واتساع رقعة الدولة الآشورية من جانب آخر. فعمد الآشوريون إلى توسيع حدودهم من أناضوليا الشرقية إلى بلاد فارس المركزية، حيث وقعت مملكة حدياب في وسط هذا الموقع الجغرافي الواسع (Larsen, 1977: 119 - 1-0).

كانت هذه المنطقة تحت سيطرة الدولة الآشورية إلى سنة ٦١٢ قبل الميلاد. ففي السنة الرابعة عشرة من حكم نبوبولاسر (٦١٢ قبل الميلاد)، زحف ملك بابل بمساندة ملك ميديا

سياخريس (Cyaxares) إلى آشور، واستحوذ على مدينة نينوى، وحصلوا على غنائم وفيرة (Kuhrt, 2010, 31). بعد أن صارت هذه المنطقة تحت نفوذ الميديين، عمدوا إلى تهجير مختلف الجماعات والطوائف البشرية من المناطق الأخرى إلى هذه المنطقة، وأنزلوهم في نينوى، للحيلولة دون اندلاع نيران الثورة فيها. بعد ذلك، فقدت هذه المنطقة مركزها التجاري الذي كانت قد حصلت عليه في الفترة الآشورية. من اللافت أن هذه المنطقة بعد نشر سيطرة الميديين ثم البارسيين عليها، اتصلت بساترابية بابل (Zawadzki, 1988: 52 - 58).

بعد سقوط الدولة الميدية، بسط كورش الكبير سلطانه على بلاد بين النهرين، واستحوذ عليها في سنة ٥٢٩ قبل الميلاد. نتيجة لذلك، تكونت مقاطعة موحدة، تشمل بابل وغربي نهر الفرات، حيث كانت تحتضن جميع الأقاليم الواقعة في بلاد بين النهرين وأراضي غربي الفرات، بما في ذلك فينيقيا وسوريا وفلسطين، وصارت خاضعة لهيمنة الدولة الإخمينية. لقد ورد اسم هذه المقاطعة في النقوش الإخمينية، "آشورا" (Kent, 1961: 166). جدير بالذكر أن أرتخشاشا الثالث الإخميني، قبل وصوله إلى السلطة، كان يحمل لقب "هديب". فبما أن "هديب" كان اسما سريانيا أديابنيا، فيمكن أن نستنتج أنه كان حاكم هذه المنطقة من قبل.

بعد زهاء ثلاثمئة من سيطرة الميديين والبارسيين على منطقة أديابن، بدأت فترة سلطة المقدونيين عليها. فإن الإسكندر الأكبر في طريق عودته من مصر، خاض حربه الأخيرة مع البارسيين في مدينة غوغميلا في حوالي منطقة أديابن، فأخضعها لنفوذ الدولة المقدونية ثم الدولة السلوقية (Marciak, 2014a: 111 - 124).

بعد أن نقل سلوقس الأول نيكاتور، عاصمة حكمه إلى أنطاكيا في سنة ٣٠٠ قبل الميلاد، فقدت أديابن على حد كبير، موقعها الإستراتيجي الفريد الذي كان قد نالته بسبب قربها من مدينة بابل الملكية. بعد هذه الفترة، اضطر السلوقيون إلى إسناد بعض أقاليمهم إلى الحكام المحليين. فإن السلوقيين، رغم أنهم كانوا يستفيدون من النظام الإدراي الإخميني في الأقاليم الخاضعة لنفوذهم، إلا أنهم لم يتمكنوا من ممارسة الضغط الكافي على الحكام المحليين، الأمر الذي أدى إلى أن يعلن هؤلاء الحكام المحليون استقلالهم في المناطق التي كانت قد سقطت هيبة الدولة المركزية، ومنها أديابن في بلاد بين النهرين. فعندما نصل إلى فترة حكم

أنطيخوس أبيفانس، نشهد أن الدولة المركزية كان ينصب اهتمامها على مصر وشرقي البحر الأبيض المتوسط، وكان قد تقلص نفوذها في الأقاليم الأخرى، مما أفضى إلى أن تنفصل الدول المستقلة الكثيرة عن جسد الدولة السلوقية، وعلى رأسها دولة أديابن المحلية المستقلة (Marciak, 2017, ss: 344 - 349).

منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، صارت بلاد بين النهرين تحت نفوذ الدولة الفرثية. فرغم أن سبب غالبية الحروب الدامية التي كانت تشتعل نيرانها بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، كان يعزى إلى السيطرة على المناطق الحدودية بينهما، بما في ذلك المدن الواقعة في شمالي بلاد بين النهرين، إلا أن الرومانيين كانوا أقل نجاحا من الفرثيين في هذا المضمار. من نصف القرن الثالث قبل الميلاد إلى الربع الأول من القرن الثالث الميلادي، صار شمالي بلاد بين النهرين جزءا من أراضي الدولة الفرثية (پيگولوسكايا، ١٣٨٧: ١١٦).

في القرنين الثاني والثالث الميلادي، وبعد اندلاع نيران الحروب الدامية بين الفرثيين والرومانيين، بدأ تراجع الدولة الفرثية وانهيارها، وخلعت الطاعة عدد وفير من الدول المحلية الصغيرة في بلاد الرافدين، نحو: الرها أو أسروينا، وحران، وأديابن، وكرخ سلوق، ونهضت لدعم أردشير الأول، مؤسس الدولة الساسانية (لوكونين، ١٣٥٠: ٥٣ ـ ٥٤). لا يفوتنا هنا أن الطبقة العليا لأديابن كانوا موالين للدولة الفرثية، فوقفوا أمام الساسانيين في سنة ٢٢٤ للميلاد. ولكن أديابن ـ في نهاية المطاف ـ انضمت إلى الدولة الساسانية، وسميت باسم "نخوردشيرگان" اعتزازا بأردشير الأول. وفقا للحوليات السريانية، فانضم شارات، آخر ملوك من سلالة أديابن المحلية، إلى جيوش أردشير الأول، وذلك بالتواطؤ مع ملك كركوك، ولعبا دورا بارزا في القضاء على الدولة الفرثية (Chron. Arbel. p. 60).

٤-١. أديابن في فترة حكم الدولة الفرثية

لأول مرة، نواجه اسم آشور أو أديابن في فترة حكم ميثراداتس الأول (مهرداد الأول أو مهرداد الكبير)، عندما توجه بجيشه إلى بابل، بعد الاستيلاء على مقاطعة ميديا المهمة. مع أن ديمتيريوس الثاني، الملك السلوقي، أوقع بعض خسائر في الجيش الفرثي، إلا أن ميثراداتس الأول تمكن من التوغل في أرض بابل كملجأ أخير للسلوقيين في القرب من الهضبة الإيرانية. في هذه الأثناء، بما أن أهالي أديابن كانوا قد خابوا من السلوقيين واستعادة

هيبتهم، فأرسلوا ممثليهم إلى الملك الفرثي، للتعبير عن ولائهم وخضوعهم له. على أساس ذلك، فمن سنة ١٤١ قبل الميلاد، حيث استولى ميثراداتس الأول عليها، صارت أديابن منطقة تابعة للفرثيين أيضا (زرين كوب، ١٣٦٣: ٣٣٢؛ Assar, 2006: 90).

على جراء شيوع عدم الأمن وزعزعة الاستقرار وفراغ السلطة بعد مقتل الملكين الفرثيين، أي فراتيس الثاني (فرهاد الثاني)، وأردوان الثاني، في مواجهة القبائل الشرقية (السكيثيين والطخاريين)، اضطر ميثراداتس الثاني (مهرداد الثاني) (١٢٤ - ٨٧ قبل الميلاد)، بحضوره العسكري إلى إخضاع مقاطعات بابل، وعيلام، وخاراكس، وبارس مرة أخرى لنفوذ الدولة الفرثية وهيمنتها. بذلك، فإن الحكومات والدويلات المحلية في بلاد بين النهرين، نحو أديابن (حدياب أو آشور)، وباقردا (كوردوين / كاردوخ)، وأسروينا، والتي كانت قد استغلت انحطاط هيبة الدولة السلوقية وانشغال الملوك الفرثيين بالحدود الشرقية، قدّمت لميثراداتس الثاني فروض الطاعة (زرين كوب، ١٣٦٣: ٣٣٩).

٤-١-١. حضور الروم في أسيا الغربية

من القرن الثالث إلى قبل القرن الثاني قبل الميلاد، استولى الرومان على معظم المناطق في أوروبا الغربية، والشرق الأدنى، وشمال أفريقيا. فبداية العلاقات الدبلوماسية بين الفرثيين والرومانيين، كانت نتيجة التقاء مصالح هاتين الدولتين في أسيا الصغرى في فترة حكم ميثراداتس الثاني. فإن التحالف بين ميثراداتس السادس ملك بنطس (حك ٦٣ - ١٢٠ قبل الميلاد)، وديكرانوس الثاني (حك ٥٥ - ٩٥ قبل الميلاد)، ملك أرمينيا، وتدخلاتهما في الشؤون الداخلية لكبادوكيا (قبادق) من ولايات الرومان التابعة، مما أدى إلى حضور الرومان بشكل فعال في أسيا الصغري (روستانديك، ١٣٨٦: ١٤٣)، ومحاولتهم للنفوذ في جميع مناطق أسيا الصغرى والقوقاز.

كانت تسعى أرمينيا وبنطس إلى انضمام الدولة الفرثية إلى تحالفهما ضد الرومان. ولكن تلاشى هذا التحالف بسبب طموحات ديكرانوس ومشاكل الفرثيين الداخلية، لدرجة أن ديكرانوس أولا ثم الفرثيين لم يظهروا عمليا أي رغبة في القتال مع الرومان. في تعبير آخر، فإن الفرثيين كانوا منشغلين بحل شؤونهم الداخلية من جانب، ومن جانب آخر كان يستغل ديكرانوس هذا الوضع لتحقيق طموحاته التوسعية في المناطق المحيطة به، الأمر

الذي جعل ميثراداتس السادس وحيدا مخذولا في مسرح القتال. جدير بالذكر هنا أن ميثراداتس الثاني الفرثي في خضم هذه الأحداث، رجح اتخاذ سياسة سلبية تجاه هذا الموضوع، بحيث ما كان يؤيد طلبات ميثراداتس السادس، وما كان يدعم طموحات الرومان التوسعية في سوريا. يمكن أن نقول إن الدولة الفرثية التي كانت تعاني من أوضاعها الداخلية الصعبة، رجحت أن تلتزم الحياد في الحروب المشتعلة بين الرومان وبنطس، وتتطلع إلى الأحداث في المستقبل (ورستانديك، ١٣٨٦: ١٤٣؛ پلوتارك، لوكوس، ٦ ـ ٣٦).

استنادا إلى تقرير بلوتارك، بعد وفاة ميثراداتس الثاني الفرثي، عجت الدولة الفرثية بالاضطراب والفوضى، بسبب اندلاع الصراعات والنزاعات الداخلية وتنافس الطامعين في السلطة والقوة، وضياع هيبة السلطة المركزية. أدى هذا الوضع المتدهور إلى أن يستغل ديكرانوس الثاني المشاكل الداخلية للدولة الفرثية، ويستحوذ على أراضي المنطقة الموسومة بـ"هفتاد دره" (سبعون الوديان)، ويمارس توسيع حدود مملكته وبسط نفوذ رقعتها في الأراضي الخاضعة للدولة الفرثية في شمالي بلاد بين النهرين (بلاد الرافدين)، وأسروينا، وأديابن، والغوردين، وميديا أتروباتين (استرابو، كتاب ١١، فصل ١٤، بند ١٦؛ پلوتارك، لوكوس، بند ٢١ ـ ٢٦). ولكن طموحاته التوسعية لم تقتصر على ذلك، بل اجتاح نينوى وأربلا، وعكف فيهما على السلب والنهب والدمار، وأنزل أسرى أديابن في مدينة تيغرانوسيرتا الحديثة. يقول بلوتارك في هذا الصدد: بعد أن هزم لوكوس، القائد الروماني، ميثراداتسَ السادس، دخل أرمينيا، وحاصر مدينة تيغرانوسيرتا، وواجه حشدا وفيرا من الأسوريين، والأديابنيين، والغوردينيين، والكبادكيايين (القبادقيين)، الذين كان قد دمر ديكرانوس مدنهم، وأجبرهم على أن يستوطنوا في تيغرانوسيرتا قهرا وقسرا. جدير بالذكر أن الغالبية الساحقة من الأسرى المقيمين في عاصمة أرمينيا، كانوا من الفنانين والأثرياء والأغنياء، حيث كانت مدينة تيغرانوسيرتا مكتظة بالذهب والفضة والمسكوكات والتماثيل التي كان قد جلبها الناس من المدن المختلفة إلى هذه المدينة الحديثة لشد انتباه ديكرانوس (پلوتاكر، لوكولوس، بند ٤٨). إن سياسة التهجير القسري للسكان كانت تسعى أن تعيق اندلاع نيران الثورة في المناطق المحتلة، وكذلك فرض السلطة السياسية للقوم القاهر. من اللافت أن أعمال ديكرانوس الاعتدائية ظلت دون رد من قبل ميثراداتس الثاني؛ ذلك لأنه ما واتته فرصة مناسبة في أواخر عمره، لوقف نشاطات ديكرانوس الاعتدائية. بعد وفاة

ميثراداتس الثاني، وطيلة الفترة الممتدة ما بين ٨٧ ـ ٧٦ قبل الميلاد، تورطت الدولة الفرثية في الصراعات الداخلية، فظلت عاجزة عن إيقاف تحركات ديكرانوس.

٤-١-٢. صراعات القواد الرومانيين مع أرمينيا وبنطس وإسهامات الدولة الفرثية وأديابن في هذه الصراعات

بعد أن تربع سيناتروسيس (٧٦ ـ ٦٨ قبل الميلاد) على العرش الفرثي، أدى ضعف ديكرانوس الثاني وميثراداتس السادس في الصراع مع القائد الروماني، لوكوس، إلى أن طرفي الصراع يتنافسان على القرب من البلاط الفرثي ويستنجدان به. تعهد ديكرانوس وميثراداتس السادس لسيناتروسيس باستعادة أراضي شمال بلاد الرافدين بما في ذلك أديابن، إلى الدولة الفرثية، في حالة مساندة بلاد فارس لأرمينيا وبنطس في الصراع ضد الرومان. وفي الوقت نفسه، وعد لوكوس، سيناتروسيس في سنة ٦٩ قبل الميلاد، باسترداد مناطق شمال بلاد الرافدين، بما في ذلك أديابن، إلى الدولة الفارسية، في مقابل عدم مساندتها لأرمينيا وبنطس وانتصار الجيش الروماني (زرين كوب، ١٣٦٦: ٣٤٣؛ Shayegan, 2011: 539).

أما في فترة حكم فراتيس الثالث (فرهاد الثالث) (٦٨ لا ـ ٥٧ قبل الميلاد)، فاستمرت محادثات طرفي الصراع مع الدولة الفرثية على امتداد إحلال السلام والاستقرار وجلب مساندتها. ولكن كانت سياسة فراتيس الثالث هي الحياد وعدم التدخل في شؤون الغير (ولسكي، ١٣٨٣، ١٤١ ـ ١٤٢؛ شيپمان، ١٣٨٤: ٤٢). ليس من المستبعد أن سبب اتخاذ هذه السياسة من قبل الملك الفرثي، يعزى إلى رغبته في استمرار الحرب الطاحنة بين طرفي الصراع؛ ذلك لأن استمرار الحرب بينهما كان يفضي إلى تغلغل الضعف والوهن في كيانهما وتوفير المصالح الفرثية في المنطقة.

يقول بلوتارك: أوصى ميثراداتس السادس، ديكرانوس الثاني بأن لا يتورط في الصراع مع لوكولوس في أرض الواقع، بل يحاول كل محاولة لعدم وصول المؤونات والعتاد إلى الرومان. فهو أرسل قائده، تاكسيلس لمساندة ديكرانوس ودعمه، غير أنه عندما رأى قدوم جيش عرمرم من قوات المساعدة من جانب الغوردين، وأرمينيا، وميديا، وأديابن، وإيبيريا، صار متحمسا للحرب. في هذه الفترة، كان الرومان يحرصون على السيطرة على أناضوليا

الشرقية؛ الأمر الذي دفع الحكام المحليين بأسرهم إلى الانضمام إلى جبهة أرمينيا وديكرانوس، حتى لا يخضعوا لسيطرة الدولة الرومانية (پلوتارك، لوكولوس، بند ٤٩). في خضم هذه الأحداث، اندلعت حرب عنيفة، شارك فيها ديكرانوس مع ملك أديابن وملك ميديا، وانتهت بهزيمة ديكرانوس وحلفائه وفراره من ساحة الوغى. على جراء ذلك، شهدت مدينة تيغرانوسيرتا سلبا ونهبا، ثم سمح لوكولوس لسكانها بالعودة إلى مواطنهم الأصلية؛ بذلك تمت إعادة إعمار المناطق التي كانت في حالة خراب ودمار بعد تهجير سكانها (المصدر نفسه، لوكولوس، بند ٥٦ ـ ٥٧).

في الحروب الثلاثية التي امتدت من سنة ٨٦ إلى ٦٦ قبل الميلاد، انهزم ميثراداتس السادس من القواد الرومانيين: سولا(Lucius Cornelius Sulla Felix) (٨٦ ق.م)، ولوكولوس (Lucius Licinius Lucullus) (٦٩ ق.م)، وبومبيوس (Gnaeus Pompeius Magnus) (66 ق.م)، وبالتالي، هيمن الجيش الروماني على مناطق شرق البحر الأبيض المتوسط، وأسيا الصغرى، ومناطق شمال بلاد بين النهرين (المصدر نفسه، پمپي، بند ٤ ـ ٣٣، لوكولوس، بند ١٤ ـ ٣١، سولا، بند ١٤ ـ ١٥، ديوكاسيوس، كتاب ٣٦، بند ٥٣). بعد هزيمة ميثراداتس السادس، عمد الرومان إلى توسيع مناطق نفوذهم لأول مرة في المناطق المجاورة للفرات، وبسطوا نفوذهم على مناطق شمال بلاد الرافدين والفرات الأوسط (بيوار، ١٣٨٣، ٣: ١٤٨ ـ ١٤٩)، وبالتالي، فقدت الدولة الفرثية سيطرتها على مقاطعة أديابن وباقردا (پيرنيا، ١٣٩١، ٣: ١٧٩٤؛ پلوتارك، پمپي، بند ٥١).

٤-٢. دور أديابن في تطورات فترة حكم أردوان الثالث

في فترة حكم أردوان الثالث، عيّن تيبيريوس، الإمبراطور الروماني، ابن أخيه، جرمانيكوس، حاكما على الممتلكات الرومانية في أسيا. بعد أن تولى جرمانيكوس حكم هذه المناطق، اصطدم مع أردوان على السيطرة على أرمينيا. بما أن تيبيريوس ما كان مستعدا للقتال مع أردوان، فحاول كل محاولة أن يضع عراقيل أمامه، ليصده عن مهمته. إذن، أرسل الأمير فراتيس أحدا من أبناء فراتيس الرابع بجيش مكثف من سوريا إلى بلاد فارس، حتى يدعي العرش الفارسي فيها. ولكن وفاة الأمير المشبوهة، أحبطت مؤامرة الإمبراطور الروماني. زيادة على ذلك، فإن تحريض الجورجيين على اجتياح أرمينيا وإشعال نيران

الحرب فيها كان مؤامرة أخرى حاكها هذا الإمبراطور الروماني. في هذه الحرب الدامية، لقي ابنا أردوان يدعيان أرشاك وأورود، مصرعيهما. في هذه الأثناء، أن تيبيريوس عقد عزمه مجددا على أن يرسل الأمير تيريدات كمدعي العرش الفارسي إلى بلاد فارس. هذه المرة، تكللت مساعيه بالنجاح؛ إذ أدى سخط الطبقة العليا عن حكم أردوان الاستبدادي ودعمهم لتيريدات، إلى أن يترك أردوان العرشَ، ويلوذ بالفرار إلى جرجان.

ولكن لم تدم الحال على ما كانت عليه، لأن أردوان بعد استعادة السلطة والقوة، تصالح مع تيبيريوس، وتوصل إلى اتفاقيات ثنائية معه. فاستنادا إلى هذه المعاهدات الثنائية، قبِل الإمبراطور الروماني أن يتخلى عن دعم منافسي أردوان ومعارضيه؛ وفي المقابل، تعهد أردوان أن يغض الطرف عن أرمينيا، وحتى أرسل ابنه دارا كرهينة إلى نظيره الروماني. ولكن سياسة المساومة مع الرومان، ما لاقت قبولا عند الطبقة الخاصة الفارسية المتكونة من النجباء والنبلاء. فإن سخطهم واستياءهم الشديدين لقرار أردوان، أدى إلى تنحية هذا الإمبراطور الفارسي عن العرش واستبداله بأمير آخر يدعى كيناموس (زرين كوب، ١٣٦٣: ٣٧٥ ـ ٣٧٦). في هذه الأثناء، أن دور أديابن وملكها يستحق النظر فيه بعمق.

عندما أحس أردوان بأن مؤامرة تحاك ضده، لجأ إلى حدود مملكة أديابن شبه المستقلة. فاحتفل به أيزاتس الأول الذي كان قد اعتنق اليهودية للتو، احتفالا عظيما، وأكرمه إكراما جزيلا، وتعهد له باستعادة ملكه، ثم بعث برسالة إلى زعماء القبائل الفرثية أو البارثية، وطلب منهم إعادته إلى سدة الحكم، وحتى شجع الأمير كيناموس على التخلي عن منصبه (بيوار، ١٣٨٣، ٣: ١٧٣ ـ ١٧٤؛ Sellwood, 2011, 1: 456 - 459). في نهاية المطاف، فبعد أن استعاد أردوان العرش الملكي بنجاح، منح لأيزاتس الحق في ارتداء التاج والجلوس على السرير الذهبي، وهو امتياز كان مخصصا سابقا للملك الفرثي نفسه فقط. زيادة على ذلك، منحه أردوان مدينة نصيبين في شمالي بلاد الرافدين كهدية (Josephus, Antiq, 20, 1 - 3). فإن السيطرة على هذه المدينة الإستراتيجية كانت تتيح فرصة مناسبة للأديابنيين أن يعززوا وجودهم السياسي في النواحي الغربية لنهر دجلة.

٤ـ٣. دور أديابن في تطورات فترة حكم فردانس (Vardanes)

بعد نهاية حكم أردوان الثالث، نشبت الخلافات مجددا بين الإمبراطوريتين الفارسية

والرومانية على أرمينيا. سعى فردانس أن يحث أيزاتس الأديابني على أن يشن هجوما على مصالح الإمبراطورية الرومانية في أرمينيا (المصدر نفسه، ٢٠، ٦٩)، غير أن أيزاتس شق عصا الطاعة، فلم يخضع لأمره، فوقف إلى جانب الإمبراطور الروماني. في الحقيقة أنه ما كان يريد هذا الهجوم، بسبب إقامة خمسة أولاده في الأراضي الرومانية، الأمر الذي أثار ثائر فردانس، وجعله يهدد مملكة أديابن بالحرب؛ إذ على الرغم من الخدمات الجليلة التي كان قد أسداه أردوان إلى أيزاتس الأديابني في أواخر أيام حكمه، إلا أن هذا الأخير كان قد تحول عنه إلى عدوه الروماني واتخذ مواقف ضد الدولة الفرثية. ونتيجة لذلك، فإن فردانس توجه بجيشه إلى أديابن بهدف معاقبة أيزاتس، إلا أن جهوده ما آتت أكله؛ إذ تورط في حرب مع ملك جرجان الذي كان قد تمرد عليه بتحريض من النجباء والنبلاء. فهو، وإن حقق انتصارات في ساحة الحرب، إلا أنه لقي مصرعه على أيدي مرؤوسيه عقب مؤامرة النجباء (زرين كوب، ١٣٦٣: ٣٧٨ - ٣٧٩؛ بيوار، ١٣٨٣، ٣: ١٧٦).

يبدو أن عدم قبول طلب فردانس من قبل أيزاتس، يعود إلى شيئين: الأول أن أيزاتس اضطر إلى إرسال خمسة أولاده إلى الإمبراطورية الرومانية، بسبب اشتعال نيران الصراعات داخل عائلته، والتي كان سببها في الغالب يعزى إلى توجهه الديني الجديد. ومن المحتمل أيضا أن هدف أيزاتس من إرسال أولاده الخمسة كرهائن إلى بلاط الإمبراطور كلوديوس، يعود إلى اكتساب دعم الدولة الرومانية في الظروف العويصة. ولكن بما أن نفي أولاده الخمسة إلى الدولة الرومانية، تزامن مع نشوب الخلافات بين الأديابنيين وفردانس الفرثي، فيبدو أن هذه المبادرة تمت لحماية الأطفال وإظهار العلاقات الوثيقة مع الدولة الرومانية؛ والثاني أن أيزاتس كان لديه اعتقاد راسخ بهيبة الإمبراطورية الرومانية وقوتها، فما كان يريد أن يتورط في الحرب معها. فهو حاول إقناع فردانس بقبول رأيه، إلا أنه خاب مسعاه؛ ذلك لأن فردانس كان يطمح إلى إعادة أرمينيا وضمها إلى أراضيه، الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقات بينهما (Sellwood, 2011, 1: 456-459; Josephus, Antiq. 20, 3.4).

٤-٤. دور أديابن في تطورات فترة حكم غوتارزس

بعد نهاية حكم فراداتس، وصل غوتارزس إلى سدة الحكم في سنة ٤٦ للميلاد. أرسل الطبقة الأرستقراطية الفرثية في سنة ٤٩ للميلاد، سفراءهم إلى الإمبراطور الروماني،

كلوديوس، حتى يرسل ميثريداتس، حفيد فراتيس الرابع إلى إيران (تاسيت سالنامه كتاب ١١، بند ١٠). في سنة ٤٩ للميلاد، رافق حاكم سوريا، كاسيوسُ، ميثريداتسَ إلى الفرات، واستقبله حاكم إديسا، أبغر (أبجر)، على الضفة الشرقية لنهر الفرات. في هذه الأثناء، بعث الحاكم الفرثي لبلاد الرافدين، كارين، برسائل إلى الأمير ميثريداتس، وطلب منه العودة إلى فارس في أسرع وقت ممكن. ولكن ماطل الأمير عديم الخبرة وأضاع الوقت في إديسا وأرمينيا بناء على نصيحة أبغر. فعندما وصل إلى دجلة، انضم إليه كارين وقواته، وكذلك حاكم أديابن، أيزاتس. ولكن هذا الأخير كان قد تواطأ مع غوتارزس. فتحين غوتارزس الفرصة، وأجبر أيزاتس وأبغر على إعاقة تقدم القوات المهاجمة. فقرر ميثريداتس أخذ زمام المبادرة والهجوم على قوات غوتارزس. ففي حرب عنيفة اندلعت بينهما، حوصر كارين وقتل، واستسلم ميثريداتس. فقطع غوتارزس أذني ميثريداتس، ودعاه روميا (بيوار، ١٣٨٣، ٣: ١٧٧ ـ ١٧٨). يعكس هذا الحدث مدى أهمية موقف الحكام المحليين لبلاد الرافدين في معادلات القوة.

٤ـ٥. دور أديابن في تطورات فترة حكم بلاش الأول

بعد أن تولى بلاش الأول مقاليد الحكم، سيطر على أرمينيا وقلدها أخاه تيريدات. أصبح هذا الإجراء مصدر قلق كبير للرومانيين. في هذه الأثناء، أن ملك أديابن، أيزاتس، الذي كان يتمتع بدعم الإمبراطورية الرومانية، أعلن الاستقلال (زرين كوب، ١٣٦٣: ٣٨٠). طوال السنوات الماضية، كان قد توسع نطاق صلاحيات أيزاتس، بسبب الخدمات التي كان قد أسداها إلى الملوك الفرثيين، غير أن بلاش الأول كان يسعى إلى التقليل من صلاحياته وتهميشه؛ بذلك، بعث إليه برسالة مفادها أنه يجب عليه التنازل عن الحقوق والصلاحيات التي كان قد منحها له أردوان الثالث، ودفع الخراج، وتأدية واجباته كملك تابع. ولكن لم يخضع أيزاتس لأمره؛ ذلك لأنه كان يخشى أن يكون هذا الأمر بمثابة مقدمة لمطالب أخرى. مهما يكن من شيء، فاندلع الصراع بينه وبين بلاش الأول. في بادئ الأمر، أرسل أيزاتس العائلة الملكية المتكونة من النسوة والأطفال إلى مكان آمن، ثم جمع الكثير من المؤونة وأخلى المناطق الأخرى منها، حتى يصعب الأمر على بلاش وجيشه، ثم استعد للحرب مع بلاش عند نهر الزاب السفلي. عندما وصل بلاش إلى هذا النهر، تلقى رسالة، مفادها أن السكيثيين

والداهيين قد ثاروا في المناطق الشرقية الفارسية. نتيجة لذلك، توجه بلاش إلى تلك المناطق المضطربة، وأخمد نيران ثورتهم. بعد ذلك، قصد أيزاتس مرة أخرى. ولكن في هذه الأثناء، وافت المنية أيزاتس، فاعتلى العرش ابنُه، مونوباز. فهو على خلاف أبيه، خضع لأمر الإمبراطور الفرثي، وتعهد بدفع الخراج المقرر له (Josephus, Antiq.20, 4.2).

في سنة ٦٠ للميلاد، بعد النجاحات العسكرية التي حققها القائد الروماني، كوربولو، احتل الرومان أرمينيا. بدأ الإمبراطور الروماني، نيرون، في نشر قوات ومعدات عسكرية كبيرة في مدينة تيغرانوسيرتا. في هذه الأثناء، أن الملك التابع للرومان في أرمينيا، ديكرانوس، بدأ بغزو أديابن. بما أن ملك أديابن، مونوباز، لم يتحمل مواجهته، فكر في اللجوء إلى الرومان. بذلك، قرر بلاش أن يدعمه أمام القوات المهاجمة (تاسيت، كتاب ١٥، بند ١). فكلّف القائد الفرثي، مونه زس (Monezes)، ومونوباز بطرد ديكرانوس من أرمينيا، حتى يتوجه بجيش عظيم إلى الفرات (تاسيت، كتاب ١٥، بند ٢). حاصر الجيش الفرثي بقيادة مونوباز أرمينيا بأكملها. فاستمر الحصار طويلا، وتكبدت خلاله قوات أديابن المساعدة خسائر فادحة (بيوار، ١٣٨٣، ٣: ١٨٣؛ Sellwood, 2011, 1: 456 - 459). عقب انتهاء معركة راندیا، انتهى النزاع الفرثي ـ الروماني ورضخ الطرفان للمساومة. فوافق الفرس والرومانيون على الخروج من أرمينيا، وقام نيرون بتتويج تيريداتس ملكا على أرمينيا. أثناء رحلة تيريداتس إلى روما، رافقه مونوباز بثلاثة آلاف فارِس (ديوكاسيوس، ٦٣، بند ١ـ ٢).

٦-٤. دور أديابن في فترة حكم أوزرويس (Osroes)

في فترة حكم أوزرويس، زحف تراجان بجيشه إلى الشرق (١١٤م). ففي طريقه، ولى انتباهه نحو بلاد الرافدين، وأخضع مقاطعات الرها (أسروينا)، وباقردا وأديابن لنفوذه، حيث منحه مجلس شيوخ الروماني لقب بارتيكوس، أي فاتح فرثية (زرين كوب، ١٣٦٣: ٣٩٨). تزامنا مع هجوم تراجان على المناطق الشرقية، تراجع الملك الفرثي إلى الوراء، وألقى مسؤولية الدفاع عن الممالك التابعة على عواتق الحكام المحليين. من جانب آخر، أن النزاعات والصراعات الداخلية بينه وبين الملوك التابعين الفرثيين كانت قد صرفت انتباهه عن دفع العدو الخارجي (ديوكاسيوس، كتاب ٦٨، بند ٢٦). على كل حال، فلم يتمكن ملك أديابن، مبارسابس، من المقاومة أمام الجيش الروماني، فسقطت أديابن بالكامل (ديوكاسيوس، كتاب ٦٨، بند ٢٢).

بعد وفاة تراجان المفاجئة في عهد الإمبراطور التالي، هادريان، جرت مفاوضات سلمية بين فارس والروم. على أساس هذه المفاوضات، بقي نهر الفرات كحد بين الدولتين، وأسندت مقاطعة أرمينيا إلى أمير فرثي. تبنى هادريان سياسة التسامح والغفران تجاه الدولة الفرثية، فأسند أديابن والمقاطعات الشمالية لبلاد الرافدين إلى الفرثيين (ديوكاسيوس، كتاب ٦٨، بند ٣٣). زيادة على ذلك، أن الإمبراطور الروماني تخلى عن سياسة تراجان الخارجية القائمة على الاستيلاء على المناطق الشرقية وضمها إلى الإمبراطورية الرومانية. بعد ذلك، عادت سياسية روما مرة أخرى إلى سياسة دعم الحكومات والدويلات التابعة (فراي، ١٣٨٨: ٣٩٠).

٤-٧. دور أديابن في تطورات فترة حكم بلاش الثالث

في فترة حكم بلاش الثالث (١٤٨ - ١٩٠م)، انتهى السلام بين الفرثيين والرومانيين. فكان هجوم بلاش على أرمينيا ومحاولته لإجلاس أمير فرثي على العرش الأرميني، دون موافقة روما، انتهاكا صارخا للمعاهدة بين هارديان وأوزرويس. فإن هزيمة سه داتيوس سه وريانوس، حاكم كبادوكيا (قبادوقيا) الرومي في أرمينيا، من الجيش الفرثي، ومقتل الجيوش الرومانيين بأسرهم، مما كان يزيد من خطر اندلاع الثورة والانتفاضة العامة في المقاطعات الشرقية التابعة للإمبراطورية الرومانية؛ بذلك، أعد الرومانيون أنفسهم لاحتدام حرب شاملة تحت عنوان حرب أرمينيا وفرثية (Philoromeus). توجه لوسيوس أورليوس فيروس بجيش عظيم إلى أنطاكيا في سنة ١٦٢ للميلاد. نجح القائد الروماني، برسيكوس، السيطرة على أرمينيا، وغزا القائد الروماني الآخر، كاسيوس، بلاد الرافدين، وتقدم على امتداد نهر الفرات، إلى دورا أوربوس. فهو بسبب النجاحات العسكرية التي حققها أمام الجيش الفرثي، استطاع مواصلة تقدمه حتى وصل إلى سلوقية. عندما سيطر على هذه المدينة، استباحها سلبا ونهبا وحرقا. بعد ذلك، قصد طيسفون وهيمن عليها. جراء هذا الزحف، خضعت المقاطعات الشمالية لبلاد الرافدين لنفوذ الإمبراطورية الرومانية. فإن الجيوش الرومانية، وإن اضطرت إلى التراجع بسبب تفشي مرض الجدري أو الطاعون، إلا أن هذه الحرب العنيفة انتهت لصالح الرومانيين؛ ذلك لأن المناطق الشمالية لبلاد الرافدين خضعت تحت سيطرتهم، وأن بعض الحكام والملوك المحليين قاموا بسك العملات المعدنية الجديدة وسموا أنفسهم بفيلورروميوس أي محب روما (زرين كوب، ١٣٦٣: ٤٠١ - ٤٠٣).

٤-٨. دور أديابن في تطورات فترة حكم بلاش الرابع

في فترة حكم بلاش الرابع (١٩١ - ٢٠٨م)، عاشت الإمبراطورية الرومانية بعض الصراعات الداخلية، ونشبت خلافات بين الأمبراطور الروماني، سيبتيموس سيفيروس وحاكم سوريا، بيشينيوس نيجر، الأمر الذي أدى إلى أن أهالي المقاطعات الشمالية لبلاد الرافدين، بما في ذلك أديابن، والذين كانوا غير راضين عن الدولة الرومانية، ثاروا، وحاصروا مقاطعة نصيبين التي كانت قد تحولت إلى قاعدة رومانية عقب هزيمة بلاش الثالث (ديوكاسيوس، كتاب ٧٥، بند ١). فإن الغالبية الساحقة من أهالي هذه المقاطعات، كانوا يرجحون الدولة الفرثية على نظيرها الرومانية. يبدو أن بلاش الرابع وقف إلى جانب حاكم سوريا عقب الخلافات التي نشبت بينه وبين الإمبراطور الروماني؛ ولكن في نهاية المطاف، نجح هذا الأخير أن يهزم بيشينيوس نيجر، وأن يتوجه بجيشه إلى المناطق الشرقية بحجة رفع حصار مدينة نصيبين.

في سنة ١٩٥ للميلاد، نجح الإمبراطور الروماني أن ينشر سيطرته على جميع المقاطعات الواقعة في بلاد الرافدين. فهو بعد أن عبر نهر دجلة، غزا أديابن وهيمن عليها، على الرغم من المقاومة الكبيرة التي أبداها الأديابنيون (ديوكاسيوس، كتاب ٧٥، بند ٣). فهو بعد السيطرة على أديابن، تقلد لقب أديابينيكوس (Parthicus Adiabenicus) تخليدا لذكرى انتصاراته (پيرنيا، ١٣٩١، ٣: ١٩٧٦). في هذه الحقبة الزمنية الحاسمة، ما قام الفرثيون بالذود عن حياض هذه المقاطعة؛ ذلك لأن بلاش كان يظن أن الرومانيين سيغزون طيسفون؛ ولكن سيفيروس عاد هو نفسه إلى روما بسبب الصراعات الداخلية. بعد عودته إلى روما، اندلعت الحرب بشكل أكبر بين الدولتين. فهجم بلاش على الرومانيين، فأبلى بلاء حسنا، فاستطاع استعادة أديابن وسائر المقاطعات الشمالية (ديوكاسيوس، كتاب ٧٥، بند ٩).

في سنة ١٩٧ للميلاد، بعد أن تغلب الإمبراطور الروماني على العدو الداخلي، ووفّق في تهدئة الأوضاع الداخلية، توجه إلى الشرق مجددا. في هذه المرة، أسرعت أرمينيا والمقاطعات الشمالية لبلاد الرافدين في عقد سلام معه، وقدمت له فروض الطاعة. نتيجة لذلك، فإن أديابن أو الأراضي الواقعة بين الزاب الأعلى (الكبير) والأسفل (الصغير)، وقعت في قبضة الرومانيين. على جراء ذلك، فاحتل الإمبراطور الروماني طيسفون،

واستباحها قتلا وسلبا ونهبا وحرقا. في نهاية المطاف، اضطر الرومانيون إلى الانسحاب من هذه المناطق بسبب تفشي القحط والمرض (زرين كوب، ١٣٦٣: ٤٠٣ ـ ٤٠٤).

مما لا يخامرنا شك، أن الملوك والحكام التابعين في شمالي بلاد بين النهرين، ما كانوا راضين عن سيطرة الرومانيين عليهم، ولكن لأنهم كانوا يرون ضعف الدولة الفرثية، فاضطروا إلى الخضوع لأمرهم، منتظرين اعتلاء دولة قوية تخلصهم من نير الرومانيين. من جانب آخر، فيجب أن يؤخذ في الاعتبار أن مدى نجاح كل إمبراطور روماني في الوقوف أمام نظيره الفرثي، كان يعتمد على مدى دعم الدويلات والحكومات العازلة الواقعة على الحدود بين الإمبراطوريتين العظيمتين، بما في ذلك أرمينيا وأديابن والرها (أسروينا).

لقد ورد في حوليات أربلا (Chronicle of arbela)، أن ملك أديابن المسمى بنرسي، ما ساعد الإمبراطور الفرثي في قمع ثورة داخلية كان قد أشعل نيرانها أهالي بارس، الأمر الذي أدى إلى أن بلاش الرابع بعد السيطرة على البارسيين، أغرق نرسي في نهر الزاب الأعلى بغية معاقبته على ما ارتكب، وعكف على السلب والنهب في أرضه ((Chron. Arbel. p. 44.

٤-٩. دور أديابن في تطورات فترة حكم أردوان الخامس

في فترة حكم أردوان الخامس (٢٠٨ ـ ٢٢٤م)، خطب الإمبراطور الروماني، قرقلة، بنت أردوان الخامس. فصار من المقرر أن يأتي الإمبراطور الروماني إلى بلاد فارس ويتزوج منها. ولكن تحول مجلس العرس إلى ساحة السلب والنهب. فإن أردوان، فإن تمكن من إنقاذ نفسه من الموت الحتمي، إلا أن مجلس الشيوخ الروماني قلد قرقلة لقب فاتح فرثية (Particus). فهو في طريق العودة إلى روما، قام بإطلاق يد جنوده لنهب المدن وسلبها وحرقها. فعلى سبيل المثال لا الحصر، أبيحت مدينة أديابن بأكملها لهم، حتى دمروا قبور حكامها. قتل قرقلة على أيدي حراسه بمدينة حران في سنة ٢١٧ للميلاد (هروديان، كتاب ٤، بند ٢١؛ ديوكاسيوس، كتاب ٧٨، بند ٣). عندما اعتلى العرش خلفه، ماكرينوس، دعا إلى إقامة علاقات سلمية مع الدولة الفرثية، غير أن أردوان لم يقبل دعوته، فاشتعلت نيران الحرب بين الدولتين مجددا. في هذه الحرب التي طالت ثلاثة أيام، انهزم الرومانيون بشدة، وخضعوا لمفاوضات السلام. لقد ورد في شروط السلام أن شمالي بلاد الرافدين يجب

استردادها إلى الفرثيين (ديوكاسيوس، كتاب ٧٨، بند ٢٦؛ زرين كوب، ١٣٦٣، ٤٠٥ - ٤٠٧؛ بيوار، ١٣٨٣، ٣: ١٩٥؛ Sellwood,2011, 1: 456 - 459).

من اللافت، أن الطبقة العليا في أديابن كانوا موالين للدولة الفرثية، الأمر الذي أدى إلى وقوفهم في وجه الساسانيين في سنة ٢٢٤ للميلاد. ولكن في النهاية صارت أديابن خاضعة للدولة الساسانية، وسميت باسم " نخوردشيرگان" اعتزازا بأردشير الأول.

الخاتمة:

توصلت المقالة إلى ما يأتي:

إن منطقة أديابن في شمالي بلاد الرافدين، كانت تمثل منطقة عبور إستراتيجية في مفترق طرق هامة بين كبادوكيا، وشمالي سوريا، وأرمينيا، وبلاد فارس الفرثية، والإمبراطورية الرومانية. فإن أديابن، علاوة على موقعها الجيوسياسي الخاص، كانت تحظى بأهمية فائقة بسبب امتلاك الموارد الطبيعية، بما في ذلك المحاصيل الزراعية، والخشب، وحجارة النحاس، وغيرها. من منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، تحولت هذه المنطقة الإستراتيجية إلى محل صراع بين الإمبراطوريتين الفرثية والرومانية، بحيث كانت تروم كل منهما إلى مد نفوذها وسيطرتها عليها. مع أن هذه المنطقة خضعت لأمر الدولة الفرثية، في سنة ١٤١ قبل الميلاد وعقب سيطرة ميثريداتس الأول على مدينة سلوقية، إلا أن ملوكها كانوا يحرصون على الحفاظ على كيانهم السياسي حتى نهاية الدولة الفرثية (٢٢٤م)، وذلك عبر اللجوء إلى السياسات المتعددة. فكانت هذه السياسات أحيانا حيادية، وكانت أحيانا أخرى انحيازية. علاوة على أهمية أديابن التجارية، والاقتصادية، والجيوسياسية التي أسهمت إسهاما بارزا في الصراع بين الدولتين الفرثية والرومانية، فلا يمكن تجاهل دور أرمينيا. من خلال دراسة المصادر والتقارير التاريخية، يستفاد أن الهيمنة على أرمينيا وبلاد الرافدين كانت لها أهمية بالغة عند الدولتين، وأن أديابن كانت بوابة إلى هذه المنطقة الإستراتيجية؛ بذلك، فكان من الطبيعي أن تتحول أديابن والمناطق الشمالية لبلاد الرافدين إلى محل صراع رئيس بين الدولتين.

على الرغم من أن أديابن كانت دولة تابعة للفرثيين، إلا أنها كانت على علاقات مع الرومانيين. وفقا للمصادر التاريخية، فإن امتناع ملك أديابن عن مرافقة الملوك الفرثيين في الحرب ضد الرومانيين، أو ممارسة ملوكها لإرسال أبنائهم إلى الإمبراطور الروماني، (نحو قيام أيزاتس

بإرسال أبنائه إلى كلوديوس في عهد فردانس وقيام مونوباز بإرسال إبنائه إلى نيرون في عهد بلاش الأول)، أو دعم الأمراء الفرثيين الذين كان الإمبراطور الروماني قد ألجأهم، وأحيانا كان يقوم بإرسالهم إلى بلاد فارس بغية إشعال نيران الحروب الأهلية فيها، كلها تعكس حرص بعض ملوك أديابن على التماشي مع سياسات روما في بعض الفترات التاريخية.

ولكن في معظم الحالات، كان ملوك أديابن يتبعون سياسات الأباطرة الفرثيين، وكانوا على صدام مع الرومانيين لحماية المصالح الفرثية في المنطقة. ولكن وفقا للمصادر التاريخية القديمة، فإن أديابن، رغم أنها تعرضت للزحف الروماني عدة مرات (تراجان في سنة ١١٥ - ١١٦م؛ وكاسيوس في سنة ١٦٤م؛ وسيبتيموس سيفيروس في سنة ١٩٥م؛ وقرقلة في سنة ٢١٦م)، إلا أن هذه المصادر لا تظهر احتلال هذه المنطقة الواقعة على شرقي دجلة على المدى البعيد أو ضمها إلى الدولة الرومانية. بذلك، لا نعدو الصواب إذا قلنا إن أديابن كدولة عازلة مهمة، ظلت جزءا لا يتجزأ عن الإمبراطورية الفرثية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - المصادر الفارسية:

١. بيوار، ا. د. هـ. (١٣٨٣هـ.ش). تاريخ سياسي ايران در دوره اشكانيان: تاريخ ايران. گردآورنده احسان يار شاطر. ترجمه حسن انوشه. تهران: اميركبير.
٢. پيرنيا، حسن. (١٣٩١هـ.ش). تاريخ ايران باستان. تهران: مهتاب.
٣. پيگولوسكايا، ن. (١٣٨٧هـ.ش). شهرهاي ايران در روزگار پارتيان و ساسانيان. ترجمه عنايت‌الله رضا. تهران: علمي و فرهنگي.
٤. دياكونف، ا.م. (١٣٤٥هـ.ش). تاريخ ماد. ترجمه كريم كشاورز. تهران: بنگاه ترجمه ونشر كتاب.
٥. زرين‌كوب، عبدالحسين. (١٣٦٣هـ.ش). تاريخ مردم ايران پيش از اسلام. تهران: امير كبير.
٦. شيپمان، كلاوس. (١٣٨٤هـ.ش). مباني تاريخ پارتيان. ترجمه هوشنگ صادقي. تهران: فرزان روز.
٧. فراي، نلسون ريچارد. (١٣٨٨هـ.ش). تاريخ باستاني ايران. ترجمه مسعود رجب‌نيا. تهران: علمي وفرهنگي.
٨. لوكونين. (١٣٥٠هـ.ش). تمدن ساساني. ترجمه عنايت‌الله رضا، تهران: بنگاه ترجمه و نشر كتاب.
٩. ورستانديك، آندره. (١٣٨٦هـ.ش). تاريخ امپراتوري اشكانيان. ترجمه محمود بهفروزي. تهران: جامي.
١٠. ولسكي، يوزف. (١٣٨٣هـ.ش). شاهنشاهي اشكاني. ترجمه مرتضى ثاقب‌فر. تهران: ققنوس.

ثانياً - المصادر اللاتينية:

11. Assar 2006 G. Farhad Assar. (2006), A Revised Parthian Chronology of the Period 165-91 BC ". Electrum 11, pp. 87- 158.
12. Dio Cassius, (1955). Roman history, translated by Earnest Cavary, Harvard University.
13. Josephus Flavius (1966) Antiquities of the Jews, Translate by willian whiston, New York: Brigham Yong University.
14. Kent, Ronald, Old Persian. New Haven, 1961.
15. Kuhrt, A. (2010). The Persian Empire: A corpus of sources from the Achaemenid Period. London: Routledge.
16. Larsen, m, t, (1977) partnership in the old Assyrian trade, IRAQ, 39.pp. 119-145.
17. Marciak, M and Wojcikowski, R. (2016). Image of Adiabene: Numismatic and Sculptural Evidence. IRAQ, pp.78-101.
18. Marciak, M. (2014a). The cultural environment of Adiabene in the Hellenistic, Parthian, and Sasanian periods. Parthica. Incontri di culture nel mondo antico, 16, pp.111-150
19. Marciak, M. (2014b). Izates, Helena, and Monobazos of Adiabene: A Study on Literary Traditions and History. Philippika, vol. 66. Wiesbaden: Harrassowitz Verlag. PP.208-316.
20. Marciak, M. (2017). Sophene, Gordyene, and Adiabene: Three regna minora of northern Mesopotamia between East and West. Leiden: Brill.
21. Plutarch, (1919). Plutarch Lives, ed and tr by Perrin, Loeb Classical Library.
22. Shayegan, M. Rahim (2011). Arsacids and Sasanians: Political Ideology in Post-Hellenistic and Late Antique Persia. Cambridge University Press. pp. 1-539.
23. Sellwood, D. (2011), "ADIABENE," Encyclopædia Iranica, I/5, pp. 456-459 ; http://www.iranicaonline.org/articles/adiabene.
24. Strabo, (1961),"The Geography of Strabo", translated by Horaco Leonard Jones, in: 8 Vols. London: the Loeb Classical Library, William Heinemann.
25. Tacitus. C, (1831), The Annals of Cornelius Tacitus, the Roman Historian, translated by Arthur Murphy, London: Jones and Co.
26. The Chronicle of Arbela, (1985) Translated by Peter Kawerau English translation by Timothy kroll, Lovani in Aedibus E. Peeters.
27. Zawadzki, S, Wolko, U. and Lavelle, P. (1988). The fall of Assyria and Median-Babylonian relations in light of the Nabopolassar chronicle. Poznań: Adam Mickiewicz University Press.